مُناقشات

« حول اللغة والحياة . . »

بقلم الدكتور بهي الدين زيان

١ – تناول الزميل الصديق الدكتور عبد الحميد يونس موضوع اللغة والحياة في العدد السابق من (الآداب)وقد وقف عند مسائل جديرة بالتأمل والتأني لأهمية هذا الموضوع بالنسبة الى حياة الأدب في هذا العصر وتطوره المنتظر أو المأمول ... ولما له من صلة وثيقة بالقديم والجديد في كل شيء–في اللغة، في الفكر ،في الثقافة عامة، في الأدب... وقد عرض الدكتور الفاضل للمعركة الدائرة بين دعاة الجديد ومن يقال انهم محافظون فقضى فيها برأي سريع إذ قال : « والمحافظون اليوم او الذين ننظر اليهم كذلك كانوا منذ ربع قرن مجددين وخاضوا معركة حامية مع الجيل الذي سبقهم وانتصروا في هذه المعركة ولم يكن انصارهم في الواقع لعبقريتهم الفنية او الادبية ولكنه كان انتصاراً حيوياً طبيعياً اعلنته الحياة نفسها باعتبارهم جيلا جديداً ووقعته بأسمائهم وأذاعته على السنتهم وأسنة اقلامهم » . وغاية ما وصلوا اليه من جهد أن الحياة قد « نجحت في بعض تجاربها » اما هم فانهم « لم يحققوا مطالب النهضة الادبية كلها » .

٢ – ثم عرض حضرته للديمقراطية السياسية المنشودة والسعي اليها وقال ان الامر يلزم بالديمقراطية الوجدانية الادبية التي يخلقها الفن الجميل بصفة عامة والفن الادبي بصفة خاصة، ووسيلة هذا الفن الادبي هي اللغة ومن هنا بدأ يتحدث عن هذه اللغة ويصف صلتها بالحياة ...

٣ – ولا أود ان اتابع هذا الموضوع الا بعد ان ننظر الى جملة القضايا العامة التي وردت في ذلك المقال – فقصة القديم والجديد عند حضرته هي قصة الاجيال ليس إلا – جيل حاضر فهو مجدد وجيل غابر فهو محافظ ، وكل تطور فانه يرجع الى قصة هذه الولادة مطلقا، ولا شأن لهذا التطور بالعبقرية الفنية أو الادبية ... بل هو خاضع للحياة نفسها التي هي « دائمة التجربة دائمة التنقيح دائمة النسخ دائبة السير الى الأمام » كما قال . وفي الحق فان هذه القضية من القضايا التي تخيل للانسان كثيراً وتفتح الابواب الى السموات العليا دون ان يهتدى الى شيء، فالكاتب الفاضل مع اطلاقه هذا القول لم يجعل للجيل الماضي من فضل الا ان الحياة قد وقعت باسمائهم واذاعت بالسنتهم واسنة اقلامهم انتصارها على الجيل الاسبق ... وقياساً على هذا فان الحياة ستوقع باقلام الجيل الحاضر انتصارها على الجيل السابق وهكذا ، ولن تكون هناك عبقريات فنية أو ادبية تقف بنفسها او تنتصر بنفسها على القديم في السياسة او الادب او الاجتماع او الفن عامة ...

٤ – وهذا القول – ان تجاوزنا في التعبير – يعد فلسفة جديدة او محاولة جديدة لبيان أثر الافراد بالنسبة الى الحياة. وتسأل أنت كما سألت نفسي: وما هي هذه الحياة التي توقع باقلام الافراد أو بالسنتهم قصة تطورها ؟ وكيف يكون ذلك؟ وهل كانت هكذا في الأجيال السابقة والعصور الماضية البعيدة ؟ فلا نخرج بشيء ، ولا اظن ان هذا يؤدي الى شيء ... وانت تعرف كما اعرف ان الحياة هذه قد توقفت عن النمو في فترات وخملت في عهود ، وتقهقرت في عصور من الازمان التاريخية التي نستحضرها وتعرف انت عنها الكثير ...

٥ – غير ان احتفال الدكتور عبد الحميد بهذه المسألة قد قرن معه التطور السياسي الحاضر نحو الديمقراطية التي يعترف هو بأنها كانت من جهدنا – أي جهد الأفراد فيقول : « وكل مثقف في مصر والشرق العربي يسلم باننا قد قطعنا اشواطاً فساحاً في ايقاظ الرأي العام واعداده لحكومة نفسه بنفسه في غير غفلة او جهل وكل مثقف في مصر والعالم العربي يرى معنا أننا اقتربنا او كدنا نقترب من الديمقراطية السياسية المنشودة ، واننا حطمنا كثيراً من الأصنام وأزلنا كثيراً من العقبات وبددنا كثيراً من الخرافات والترهات » . وتسأل مع هذا لماذا كان هذا التطور في الميدان السياسي راجعاً (الينا) ولم يكن ذاك التطور في الميدان الادبي راجعاً (اليهم) ؟ مع الاعتراف بان الحياة وحدة متكاملة وأن تطورها يخضع لقانون عام مطرد ...

٦ – وانت لا ترى من بأس مع هذا في ان تقرير هذين الرأيين لم يكن تقريراً حقيقياً واقعياً وانما كانت الغاية منه الاشعار بأن الجانب الأدبي كان التطور فيه ضئيلا ... وعاش الشرق العربي وما يزال في حاجة الى ديمقراطية وجدانية او ادبية وأن هذه الديمقراطية في حاجة الى إعداد والى دعاة ...

٧ – واني لأعرف كثيراً عن طموح الصديق العزيز واقدر ما يسعى اليه في حرص حين يكتب عن رأي له أو يثير افكاراً بين القراء ، كما أعرف لباقته في الحديث وأجد هذه اللباقة في ربطه بين تطور الأدب وتطور اللغة التي يكتب بها – وهو الموضوع الذي عالجه في مقاله – فقد اشار الى ظاهرة الازدواج اللغوي في العالم العربي وان كلا من هاتين اللغتين تتايزان ولكل منهما تراث أدبي وان احداهما رسمية والأخرى عادية وانه قد استقر في أذهان المتعلمين ان التفنن الأدبي لايقوم الا باللغة الرسمية وحدها فآثروها على لغة الحديث اليومية ... ولكني أجد الأمر هنا يستدعي كثيراً من المناقشة، فهل عندنا حقاً لغة رسمية ولغة عادية؟وأين هذه اللغة الرسمية التي يشير اليها الصديق الفاضل ؟ أهي لغة العرب القدماء والفحول من الشعراء ؟ أهي لغة اهل الجزيرة العربية حتى آخر العهد الأموي أو ما بعده الخ ... الحقيقة أن لا – فليس عندنا الآن لغة يمكن ان توصف بانها رسمية،ولا نعيش اليوم على لغة القدماء .وأظن ان الزميل الفاضل ملزم بان يقر بهذا – فقد كتب مقاله بلغة غير قديمة،وهو قد أقر بمبدأ التطور الذي تفرضه الحياة وتنصر فيه الاجيال الجديدة، فكيف يكون هذا التطور مبدأ مسلماً به ونقول ان لدينا لغة رسمية تعيش بيننا في العصر الحاضر ؟.. وأين هي هذه اللغة ؟.. ان احداً لاينكر ان هناك لغة ادبية ولغة يومية وان افترقت هذه اللغة اليومية بصورة اوضح بين اقطار الشرق العربي او الغرب العربي واصبحت لغة وطنية محلية . ولكني لا اشك ان هناك على مر العصور لغة ادبية – لغة صحيحة يكتب بها ادباء هذه الاقطار ونكتب بها الى اليوم ، وان هذه اللغة تطورت وما تزال تتطور حتى اصبحت اليوم لغة قريبة نكتب بها ويكتب بها الاستاذ الفاضل وهي ليست لغة رسمية أبدا ، والفرق بينها وبين اللغة اليومية التي تعيش معها فرق طبيعي وهوموجود من غير شك في كل لغة،وأظن انه وجد في الجزيرة العربية في زمن نهضتها الاولى ووجد بجانب القرآن الكريم ادب شعبي يفترق عنه في مستواه اللغوي والادبي ... وهذه هي سنة الحياة اللغوية .وقد لا ابالغ اذا قلت ان الامر سيظل على هذا الوضع الى يوم يبعثون، مادام الدكتور الفاضل يقرر في مقاله أن هناك طبقات اجتماعية او وحدات اجتماعية في هذه الحياة ...

٨ – ولا ادري بعد هذا كيف نقر بالتطور في اللغة الادبية ونقول عنها انها لغة رسمية استطاعت ان تحظى باعتراف المثقفين لهذا السبب او ذاك وسجلت ادبها ودونت قواعدها ؟ وهل هذا هو عمل الجيل الماضي او هو عمل اجيال سابقة ؟ وكيف نقرر أن هذه اللغة التي نزعم انها رسمية قد

قصرت تراثها على طبقة اجتماعية لها رسومها او تقاليدها ... وتخلص من هذا الى القول بان تراثنا الادبي (الرسمي) بعيد عن حياتنا الحاضرة البعد كله ؟ ... هل هذا هو واقع الامر ام انه واقع التعلق بأقوال بعض القدماء الذين كانوا يرصدون ما يرصدون لدراسة الانتاج الادبي ؟ وهل يقر الدكتور الفاضل ان ما كان يقول به بعض اهل اللغة من وضع قواعد او مقاييس للغة القدماء ويقصرون ذلك على جيل او زمن بعينه — كان يلتزم به المعاصرون من الشعراء والادباء ؟ ... أظن أن لا ...

٩ — لقد تعرض حضرته الى بعض المسائل التي تمس تطور هذه اللغة التي نزعم انها رسمية فذكر منها التعليم وطريقته والمجمع اللغوي والمثال اللغوي المنشود والمحاولات التي قام بها ادباء الجيل الماضي والصحافة والراديو ... فنقد التعليم على اساس انه يتعلق بالعصور السابقة والتراث القديم، ونقد المجمع اللغوي على ان عمله يجانب ما تقوم به المجامع اللغوية التي ترصد ما هو جار من اوضاع لغوية فيخرج مجمعنا على هذا ليخلق او يضع الفاظاً جديدة ... وقال انه ليس عندنا مثال لغوي نحتذيه الان ولم يرض بما قام به الادباء كأفراد...اما السهولة التي قامت بها الصحافة فانها ليس بالطريقة التي يعتمدها . واما الراديو فلم يقم باتجاه واحد في سبيل هذا التطور ... والرأي في كل هذه الوسائل قد يختلف عليه بدءاً ، فلا اظن ان التعليم قد سار في طريقة خاصة تباعد بين اللغة وبين الحياة، ولا ارى ما يوجب اتخاذ ما يلقى للدرس في المدارس والجامعات على انه مثال على فشل هذا التعليم،فالناحية الدراسية لها حقها تاريخية او موضوعية . ومشاركة المجمع في هذا التطور اوسع من ان تقتصر على وضع كلمات ... بل انه لمن العجب ان ننعى عليه هذا الاتجاه ويضع الدكتور من عنده اسما جديداً للراديو فيسميه (الرداد) ... أما المثال اللغوي الذي يقول انه لا يوجد عندنا فهذا أمر ينقض ما قرره سابقاً من ان التعليم والمجمع والادب الرسمي عامة يتعلق بأمثلة قديمة؟ . واما حديثه عن عمل الافراد في الجيل الماضي فانه يخالف مبدأ التطور وينفي اثر الأفراد في الحياة ... وبالجملة فليس هناك وسيلة عن تطور هذه اللغة قد خلت من نقد. واذن فما هو السبيل ؟ ...

١٠ — لقد اوضح حضرة الدكتور الفاضل ان كل هذه الاساليب التي اتخذت لتطويع اللغة للحياة قد جانبت امراً هاماً في رأيه — وهو انها لم ترع الجانب الثاني من الموضوع وهو التراث غير الرسمي او الأدب الشعبي فحينئذ نصل الى محو (الازدواج اللغوي) ... وتعود لتسأل من جديد وهل عندنا الآن ازدواج لغوي في الحياة؟وهل هناك ادب رسمي بالمعنى الذي يقصد اليه الدكتور الفاضل ... أما أنا فأقول لا ... هناك فقط شيء واحد خلط بين الواقع والتاريخ أو حياة ولغو .

القاهرة — **بهي الدين زيان**

مأساة فلسطين وأثرها في الأدب العربي الحديث

بقلم عيسى الناعوري

اخي رئيس التحرير

انتهيت الآن من قراءة مقالك الافتتاحي في العدد الخامس من«الآداب» العزيزة ، بعنوان « شكاوى الأدب العربي الحديث » وهو مقال جدير بكل ثناء وتقدير.ولكن الذي استوقفني فيه — واسمح لي بأن أقول اني اخالفك فيه كل المخالفة ، لا بعضها — هو قولك : « هل في تاريخ العرب الحديث فاجعة أروع وأدمى من ضياع فلسطين ، ومن نكبة لاجئي فلسطين ؟ ومع ذلك فهل هناك الا ملحمة او ملحمتان شعريتان قصيرتان ، وبضع قصائد واقاصيص متفرقة في الصحف ، تصور هذه النكبة وتلك الفاجعة ؟ ... ثم هدأت المعركة ، وأقفرت الساحة ، وساد الظلام ، وأصاب الألسن البكم ! »

ان قولك ان كل ما انتجته المأساة في الادب العربي « ملحمة او ملحمتان قصيرتان ، وبضع قصائد وأقاصيص متفرقة في الصحف » بعيد جداً عن تصوير الحقيقة ، وأبعد كثيراً عن رؤية الواقع قولك « ثم هدأت المعركة ، وأقفرت الساحة ، وساد الظلام ، واصاب الألسن البكم ! » . ولست أنساق مع العاطفة إذا قلت ان نكبة فلسطين قد هزت العرب والفكر العربي هزة لم يسبق ان عرفها تاريخ الامة العربية الا مرة واحدة ، يوم خرج من جزيرة العرب يتيم قريش ليقود أبناء الصحراء الى وراثة حضارات الدنيا ، منذ نحو اربعة عشر قرنا .

والحقيقة التي لا مجال لانكارها ان مأساة فلسطين قد خلقت في نفوس العرب تمرداً طاغياً ، واحدثت في الحياة السياسية انقلابات باهرة ، كما أحدثت في الحياة الفكرية العربية انقلابات أبهر وأبقى وأروع .

واما الانتاج الأدبي الذي أوحت به هذه المأساة فانني شديد الدهشة لعدم اطلاعك منه على اكثر من ملحمة او ملحمتين شعريتين قصيرتين ، وبضع قصائد وأقاصيص متفرقة في الصحف ... » ، كما استغرب جداً ان ترى « المعركة قد هدأت ، والساحة قد اقفرت ... » من الاقلام التي تحترق بالمأساة ، وستظل تحترق وتنير بلهيبها الطريق للاحرار المجاهدين .

لقد خطر لي ان استعرض حصة « دار العلم للملايين » وحدها من الانتاج الفكري الذي خلقته هذه المأساة ، فكان بين يدي منه : « معنى النكبة — لقسطنطين زريق ؛ بعد النكبة — لقدري طوقان ؛ ارض الشهداء — لابراهيم العريض ؛ وعي المستقبل — لقدري طوقان » . ونضيف الى هذه الكتب — مما طبع في بيروت ، وفي دار الكشاف — كتاب « عبرة فلسطين — لموسى العلمي » الذي اعيد طبعه ثلاث مرات في ثلاثة اشهر متتابعة من سنة ١٩٤٩

ولست اريد ان ارجع الى الوراء ، لأحصي ما صدر من وحي جهاد فلسطين قبل المأساة من مؤلفات كثيرة العدد كبيرة الأهمية ، ولا ان اتعرض للكثير جداً مما ظهر بعدها ، ولكنني اقول ان هذه المجموعة الصغيرة جداً التي اوردت اسماءها ، هي وحدها اكثر بكثير مما ذكرته انت من انتاج النكبة ، فكيف اذا اردت ان اسرد لك عشرات الكتب والدواوين الشعرية التي ظهرت في الاردن وسوريا والعراق خاصة ، وكلها من وحي المأساة ، ومن لهيبها المقدس ؟

الواقع المؤلم جداً انك يا اخي بما قلته في افتتاحيتك ، قد صورت الحقيقة في الانتاح الادبي في لبنان خاصة ، والى حد ما في مصر ايضاً ، ولكنك لم تصور إلا جزءاً ضئيلامن حقيقة الواقع الأدبي في الاردن وسوريا والعراق، فهناك لا تزال مأساة فلسطين هي الملهم الأول والأهم للانتاج الادبي ، فكأنما تجمعت مصائب الدنيا عامة ، ومصائب العالم العربي كله خاصة ، في فلسطين ومأساة فلسطين ؛ فالشعر ، والنثر ، والقصة ، اغلبها مستمد منها ، او هو بتأثيرها ووحيها ، او بتأثير الروح المتحفزة المتمردة العارمة التي خلقتها وبثتها في نفوس الجيل الادبي الجديد .

حقيقة ان الادب الذي خلقته هذه المأساة لم يقدر له ان يطبع كله ، واغلبه لم تتح له الفرصة للظهور حتى في الصحف ، ولو قدر له كله ان ينشر لاطلع العالم على ثورة فكرية تهز الدنيا ، ولا تقل اهمية عن الانتاج الفكري الذي مهد للثورة الفرنسية ، وثورات الحرية في كل مكان .

وبودي ان اشير الى عدد ضئيل جداً من الكتب التي ظهرت في الآونة

الاخيرة ، مستمدة وحيها وروحها من المأساة . فهل قرأت : « المعركة – لمعين بسيسو » ، و « المشرد – لأبي سلمى » ، و « مع الفجر – لسليمان عيسى » ، و « المهزلة العربية – لمحمود الحوت » ؟ – وكلها شعر – وهل قرأت : « من وحي الواقع – لأمين ملحس »، و « كفر – لنبيل شحاده » والأقاصيص الفلسطينية في « الاخوات الحزينات – لنجاتي صدقي » ؟ – وكلها اقاصيص – . وهل قرأت قصائد القروي ، وفرحات . وابو ريشه، وغيرهم في مختلف صحف الادب العربي في الشرق وفي المهجر ، مما اوحت به مأساة فلسطين ؟ وهل قرأت العدد الكبير من مقالات نقولا حداد في « الرسالة » إبان المأساة ؟ وماذا اعدد لك من الانتاج المنشور في الصحف ؟ إنه اكثر من ان استطيع احصاءه ، ولكنني اود ان الفت انتباهك ايضاً الى المقالات والقصائد والأقاصيص العديدة في العدد الخامس من « القلم الجديد » الخاص بالادب الاردني، ففيه الشيء الكثير مما يستحق الاشارة في هذه المناسبة.

والحقيقة ان دور النشر في العالم العربي لو انصرفت ببعض عنايتها الى نشر الانتاج الادبي الواقعي الدسم الذي تتجه الاقلام اليوم ، لرأيت كيف يستوحي هذا الادب الواقعي قوته وروحه من مأساة فلسطين واثرها العميق.

وبعد ، فاسمح لي ان اقولها صريحة ، بدون ان اخشى المبالغة :

اذا نبغت في بلاد العرب من الشعراء والادباء والقصاصين ، اقوى طائفة عرفها تاريخ الآداب العربية ، فقولوا ان نكبة فلسطين قد خلقتها ، وخلقت اقلامها مغموسة بالدم ، ومطهرة بروح الحرية والثورة .

واذا ظهرت في العالم العربي اخلص مجموعة من الابطال المحررين الثائرين على العبودية ، فحطمت العروش والتيجان ، وطهرت البلاد من الاستعمار وعبيده وانصاره ، فقولوا ان نكبة فلسطين قد علمت الرجال كيف يثورون على الظلم ، ويخلصون في طلب الحرية لأمتهم وبلادهم العربية .

واذا تمردت الامة العربية في كل اقطارها تنشد الكرامة والحرية ، فقولوا ان نكبة فلسطين قد انضجت فيها الوعي ، وعلمتها معنى الكفاح لاسترداد الكرامة والحرية .

واذا توحدت الامة العربية في كفاح واحد ، ووطن واحد ، وقيادة واحدة وتاريخ جديد واحد – وهي ستتوحد رغم كل شيء – فقولوا ان نكبة فلسطين قد جمعت قلوب الاخوان، وعلمتها معنى الايمان والتعاون والوحدة.

هذه هي الصورة الواقعية الصحيحة لمأساة فلسطين واثرها في الحياة العربية وفي الفكر العربي ، وهي صورة لايمكن ان يصدق عليها بأي حال قولك ان « المعركة قد هدأت ، والساحة اقفرت ، وساد الظلام، واصاب الالسن البكم ! » فما تزال المعركة تدور . والساحة تعج بالرجال ، ونور النهار يشرق في نفوس الاحرار ، والألسن والاقلام ما تزال بألف خير ، وهي تشحذ باستمرار ، وتشحذ النفوس وتهيئها ليوم الحرية القريب . ولا يمكن ان يكون عكس هذه الصورة الا يوم لا يبقى على وجه الارض انسان عربي ، ولا يجري على القرطاس قلم عربي .

ولك مني اعطر التحية .

عيسى الناعوري

ردّ رئيس التحرير

يقول الزميل الكريم الاستاذ الناعوري « ان مأساة فلسطين احدثت في الحياة الفكرية العربية انقلابات ابهر وابقى واروع » من انقلابات الحياة السياسية .

واراه بعد ذلك يعترف بانني ، بما قلته في افتتاحيتي ، قد صورت الحقيقة في الانتاج الادبي في لبنان خاصة الى حد ما ، وفي مصر ايضاً . ولكنني لم اصور جزءاً ضئيلاً من حقيقة الواقع الادبي في الاردن وسوريا والعراق حيث « لاتزال مأساة فلسطين هي الملهم الاول والأهم للانتاج الادبي » واني اسأل الاستاذ الناعوري : اين هو هذا الانتاج ، وما هو قيمته الادبية ؟ هل في هذه الآثار الضئيلة التي ذكرها أثر « رئيسي» هام يصور النكبة الهائلة التي اصابت الامة العربية بضياع فلسطين ؟ اين تأثير هذه الفاجعة في نتاج كبار ادبائنا ، هؤلاء الذين كنت اقصدهم في مقالي ؟ الا يوافقني الاستاذ الناعوري على ان قيمة الكتب والاقاصيص والقصائد التي ذكرها تظل ضعيفة بالنسبة لما كان منتظراً ان تخلفه هذه المأساة من ادب ؟

ثم ان الكاتب يعترف بان الادب الذي خلقته هذه المأساة لم يقدر له ان يطبع كله ، « وأغلبه لم تتح له الظهور في الصحف »...فلنفرض ان هذه حقيقة واقعة ، فما يكون موقف المؤرخ الادبي ؟ هل تراه يستطيع ان يحكم الا على ما بين يديه من آثار مطبوعة ؟

اما غير ذلك مما ورد في كلمة الاستاذ الناعوري فاحسبه يمت الى حماسة عاطفية محمودة لالهاب النفوس وإذكاء الشعور والامل بالمستقبل، ولكنها مشكوك بقيمتها في مضمار التاريخ والتقويم الادبي . اننا مثله نرجو ان ينبغ في بلاد العرب شعراء وادباء وقصاصون ، وتظهر اخلص مجموعة من الابطال المحررين الثائرين ، وتتمرد الامة العربية في كل اقطارها ، وتتوحد في كفاح واحد ... نرجو هذا كله واكثر منه ، نتيجة لمأساة فلسطين ؛ ولكن هذا شيء يمت الى المستقبل ، وليس هو واقعاً مع الأسف الشديد. ونحن اذ نكتب تاريخاً ادبياً ، انما نحاول ان نكون علميين لا عاطفيين . ولعل هذا هو الفرق بيننا وبين الزميل الكريم .

سهيل ادريس

عودة الى الأدب المحنط

بقلم رمضان لاوند

سرني ان يسجل الاستاذ كمال اليازجي دفاعه عن وجهة نظره في ادبنا العربي القايدي . ففي تبادل الافكار والخواطر شحذ للقريحة ومحاولة ايجابية لاكتشاف الحقيقة الدائمة . وقد اتاح لي بذلك فرصة توضيح وجهة نظري في هذا الموضوع لاسيما وان رائدنا جميعاً هو المعرفة فحسب .

لن اعود الى ما وافقني الاستاذ عليه كالعنصر الشخصي في النقد ثم الاتباعية والتحررية في الادب . وان انس لا انس لباقته في توجيه الحديث ومعالجة الفكرة . وارجو ان يسمح لي بايراد رأيي الخاص فيما يسميه « باصول الادب الجمالية » .

ليس الجمال في نظري حساً غامضاً يتمثل في اللفظ الرقيق او الصورة الفنية المبتكرة او الفكرة الجديدة الاصلية او التشبيه الرائع ولكنه هذه كلها، فهو رصيد تجهد نفسية الشاعر في تكوينه بواسطة هذه العناصر كلها على تفاوت في تقديرها لاحد هذه العناصر . فقد تعتمد اللفظ الرقيق او الصورة الفنية باكثر مما تعتمد الفكرة الجديدة او التشبيه الرائع في تكوين التعبير الجميل .

وكما يتوفر في الأديب الصدق في الاحساس بالموضوع يتوفر فيه ايضاً صدق في تذوق اللفظ وقدرة على ابتكار المعنى وايراد التشبيه واختراع الصورة الفنية الرائعة. فاذا فرضت الظروف على الاديب ان يمدح من لايستحق المدح او يرثي من لا يجده موضعاً للرثاء فهي لا تستطيع ان تفقده ذوقه في اختيار اللفظ الجميل وقدرته على ابتكار الفكرة الجديدة والصورة الفنية الرائعة.

والملاحظ في ادبائنا الشعراء الذين عالجوا هذه الموضوعات التقليدية انهم كانوا يصرفون همهم الاكبر الى ما سوى الاحساس الصادق بالمناسبة التي ينظمون الشعر في سبيلها . فصدقهم صدق فني لا صدق في تصوير عاطفتهم نحو الممدوح او المرثي . واذا لم يكن الأمر كذلك ، فكيف نفسر موقف عمر ابن ابي ربيعة من عشرات النساء اللاتي أحبهن او حاول تصوير حبه لهن ؟ فهل كذبه في الحب يفرض كذبه في فنه ؟

ولا يرد علينا ان يقول بعضهم بان هم عمر هو في جمال المرأة لا المرأة بالذات . ومن يستطيع ان يفصل جمال المرأة عن المرأة ؟ ان الجمال كقيمة مطلقة شيء لايعبر عنه . فاذا تجسم في فتاة ، اية فتاة ، صلح ان يكون موضوعاً للشاعر يتناوله في قصيده .

ثم ما قول الاستاذ في شعر جرير ؟ وهل صحيح انه كان يعني ما يقول في هجائه ومدحه ورثائه ؟ ام انه يباري خصومه في ايراد اللفظ الجميل واختراع الصورة المبتكرة والتشبيه الرائع ؟ وقل مثل ذلك في شعر البحتري وابي تمام وابن الرومي . على انني لا اقلل من قيمة الصدق في الاحساس بالموضوع فهو عامل اساسي بالاضافة الى العوامل الاخرى التي تكون القطعة الفنية .

وهل كان الرسامون الذين تركوا وراءهم اروع الرسوم الدينية يدينون حقاً بالمسيحية ؟ وهل عاش رافييل ودافنشي ورعين تقيين ؟ ام انهما ربيا في نفسيهما تذوق اللون وفهم الخطوط وادراك روعة منحنياتها الغامضة الواضحة؟ بالاضافة الى الهبة التي منحتهما الطبيعة اياها ؟

ولماذا تحرر ابن الرومي والمتنبي في كثير من شعرهما من الروح الجماعية واستغرقا استغراقاً عميقاً في شعورهما بذاتيهما بينما كان استغراق الفرزدق وجرير والاخطل واضرابهم في شعورهم بالجماعة التي معها يعيشون .

ان هذه الظاهرة هي التي جعلتني افصل بين نوعين من الفن، فن تقليدي قومي جماعي ، وفن رومانتيكي فردي انطوائي . وطبيعي ان يكون في كل منهما صدق في اختيار اللفظ الجميل المنسجم مع طبيعة الموضوع وابتكار الصورة الفنية والفكرة الجديدة والتشبيه الرائع .

ولا اعني بذلك انه لم يكن بين شعر المرحلة التقليدية الاولى انتاج مبتذل وتكرار ممل ولكنني اقصد من ذلك بان فيما يسميه الاستاذ (ادب المناسبات) مئات من الصور الفنية الرائعة والافكار العميقة والالفاظ الموقعة توقيعاً ينسجم مع طبيعة الموضوع .

ان في الادب التقليدي نتاجاً خصباً وآخر قاحلاً وفي الادب التحرري الفردي مثل ذلك. اولهما يمثل في طريقته شعوراً جماعياً قومياً والثاني يمثل تمرد الفرد على الجماعة وما يتبعه من قلق نفسي وتشاؤم وشك .

فاذا ادرك الاستاذ الكريم ما استهدفته من استعمال هذين التعبيرين لم يعد هناك مجال للقول بان ادب المناسبات ، ادب الارتزاق والتزلف ، هو ادب ميت. فالميزان الذي نزن به جمال الشعر وقبحه ليس فيما نظنه تزلفاً او ارتزاقاً بل فيما نكتشفه من الابتذال والتقليد السقيم او الجدة والاصالة .

وظني ان الاستاذ في غير حاجة الى تدبيج النصائح التي وجهها الي ولا سيما الرابعة والخامسة والسادسة . فنحن العرب في حاجة الى ادب يحررنا من التكرار والعبودية اللفظية ولكننا في حاجة الى حس عميق بالجماعة اي بالانسان المطلق وهو الانسان المنفتح لا المنطوي خلافاً لما كان عليه ادب ابن الرومي واضرابه رغم ما في ادب هؤلاء من صدق فني واحساس عميق بقيم الاشياء من خلال انفسهم الشقية او السعيدة . والتحرر من الاوضاع القديمة لايعني تحرراً من احساسنا بالشخصية التاريخية التي تمنحنا الشعور بخلود الامة وقدرتها على البقاء . وان ما ادركته من طبائع النفس الانسانية ، واصول الادب الجمالية هو الذي دفعني الى اعتبار ما سميته (بالادب التقليدي القومي) ادباً حياً خالداً .

رمضان لاوند

حول « نزوع الادب »

الى الاستاذ داود جرجس درويش

قرأت ما تفضلتم بنشره في مجلة « الآداب » حول « نزوع الأدب » الى الالتزام أو الاعتزال حيث تحسب أنني حائر ، متردد ، منعزل ! وكنت قد تناولت الموضوع اكثر من مرة في اكثر من مجلة ، بحيث لا اجد من فائدة في تكرار وجهة النظر التي اعتمدها في هذه القضية .

وهذي هي لائحة بالمقالات التي اوضحت بها فكرتي :

١ – بين السياسة والأدب	مجلة الأديب
٢ – بين الأدب والقومية	» »
٣ – أدب ام دعاوة ؟	مجلة الحكمة
٤ – الأديب حزب وطنه	» »
٥ – نحو ادب خلاق	» »
٦ – عافية الأدب	مجلة الأديب

اظن ان هذه المقالات ، في مجموعها ، تكشف بشكل لا يقبل الجدل ، انني لا ارضى للأديب ان يكون « معتزلاً » كما انني لا ارضاه « بوق دعاوة » !

ولك في الختام ، جزيل شكري ، ووافر اعتباري .

عبد اللطيف شراره